كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.د. احمد راشد

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ العراق الحديث

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Modern History of Iraq

اسم المحاضرة الرابعة باللغة العربية: الصفويون

اسم المحاضرة الرابعة باللغة الإنكليزية : Safavids

الصفويون:

ينتمي الصفويون في الاساس الى اسرة تركمانية صوفية تنتسب الى الشيخ صفي الدين المتوفي عان ١٣٣٤م واشتهر هذا الشيخ في اردبيل بطريقته الصوفية التي حققت نفوذاً واضحاً في انحاء اذربيجان وتزايد نفوذ ومكانة هذه الاسرة، فلم ترتح لها حكومة القره قوينلو واضطهدتها مما دفع رجال الاسرة الى الاحتماء لدى حسن الطويل زعيم الاق قوينلو فلما قوض هذا دولة القره قوينلو ارتفع شأن رجال الاسرة الصفوية.

استغل اسماعيل بن حيدر الصفوي حالة الفوضى والتمزق في حكومة الاق قوينلو فقد هاجمهم ودمر نخجوان ودخل تبريز في مطلع القرن السادس عشر حيث اعلن نفسه شاهاً، وخلال سنوات قليلة من استيلائه على اذربيجان ودخوله تبريز حقق سلسلة من الانتصارات مكنته من مد حكمه على ارجاء ايران.

اما سلطان القره قوينلو فقد توجه الى شيراز ومنها توجه الى بغداد محاولاً اعادة الحياة الى امارته المتداعية وحاول مصالحة الشاه اسماعيل وارسل اليهم وفداً على ان يبقى في بغداد ويدفع جزية للشاه، الا ان اسماعيل لم يسمح للوفد بالوصول اليه وامر فذبحوا جميعاً.

قضى السلطان مراد في العراق خمس سنوات يشوبها الذعر والقلق بسبب تصاعد واتساع قوة خصمه اسماعيل الذي بسط حكمه على كل الهضبة الايرانية ثم استولى على ديار بكر بين عامي ١٥٠٥ و ١٥٠٧م، ثم وجه انظاره الى العراق ، وكانت تطلعاته الى العراق تعبر عن اسباب سياسية واقتصادية فالعراق الزراعي الخصب يمكن ان يسد الكثير من حاجات سكان الهضبة الايرانية الفقيرة، كما ان الاستحواذ على بغداد قلب العالم الاسلامي يعطي للشاه مكانة رفيعة لدى المسلمين طبقاً للأحلام التي كانت تساوره.

احتلال بغداد :

كان السلطان مراد بن يعقوب يدرك عجزه عن الوقوف وحده امام اطماع الشاه، ولذلك استنجد بإمارة ذي القدر في الاناضول ولكنها تعاني من الخور والضعف في اواخر ايامها، ولهذا باءت محاولات

الاسناد التي قدمها اميرها(علاء الدين)له في ٩٠٩ و ٩١٤ هـ/ ١٥٠٢ و ١٥٠٧ م، بالفشل، وتعرضت اراضي الامارة في الاناضول الى تخريب شامل ومذابح ماحقة مروعة ارتكبتها قوات الشاه، فاتجه السلطان الى(قانصوه الغوري)اخر حكام المماليك في مصر والشام الذي كان يدرك خطورة استيلاء الشاه اسماعيل على الع ا رق، وقد اتخذ الغوري بعض الاجراءات الاولية لإعداد حملة ضد الشاه وفرض الضرائب على اهل دمشق لتمويل كتائب المشاة التي ستتحشد في حلب استعداداً لمجابهة الشام، ولكنه في واقع الامر لم يكن مستعداً عملياً لنجدة م مراد بن يعقوب وانقاذ العراق ، فالظروف العامة التي كانت دولة المماليك تواجهها حينذاك، لم تسمع للسلطان الا بمناورات عسكرية فقط دون ان تورطه في حرب حقيقة على الشاه، فالتهديد البرتغالي للبحار العربية جعلت السلطان يوليه اهتماماً كبيراً مفضلاً عدم فتح جبهة جديدة غير مستعد لها، وهكذا ترك صاحب العراق يواجه مصيره بمفرده، ولذلك لم تكن مهمة الشاه صعبة خلال عملياته العسكرية التي انتهت باستيلائه على بغداد وبقية انحاء العراق في ٩١٤ هـ/ ١٥٠٨ م.

استطاع الشاه اسماعيل التقدم الى بغداد بجيش كبير وارسل في المقدمة فرقة من الفرسان القزلباش يقودها(حسين لاله)وتقدمت قوات الغزو من كرمنشاه الى خانقين، وبالرغم من ان حاكم بغداد استعد لمواجهة تلك القوات، الا انه وجد نفسه اضعف من ان يستمر في الدفاع عن المدينة التي لا تربطه بها رابطة قوية لاسيما بعد انتشار الروح الانهزامية بين قواته التي ارعبتها ابناء الفظائع التي كان ينزلها الشاه اسماعيل بالقوى التي تقف امامه، لهذا سارع الى الفرار قاصداً مدينة حلب ومن هناك اتجه الى ديار بكر، ودخلت قوات حسين لاله بغداد بدون مقاومة، وفي ٢٠جمادي الثانية ٩١٤ هـ / ١٥٠٨م دخلها الشاه اسماعيل وعين(خادم بيك) والياً على المدينة واطلق عليه لقب(خليفة الخلفاء)وهذا يعكس غطرسته المقيتة واطماعه وطموحه ومحاولته فرض نفوذه على العالم الاسلامي، وبالرغم من ان الشاه دخل بغداد سلماً فأنه امر بمذبحة ا رح ضحيتها عدد كبير من السكان دون مبرر، وشار المؤرخ ابن شدقم الى ذلك بقوله" :فتح(الشاه)بغداد وفعل باهلها ...ما لم يسمخ بمثله قط في سائر الدهور بأشد انواع العذاب."

اتبع الشاه اسماعيل سياسة تفريق صفوف الامة الواحدة فتظاهر بالاهتمام ببعض المراقد الدينية المقدسة، بينما كان في الوقت نفسه يقوم بضرب القبائل وسلي اموالها وباضطهاد قسم من السكان وتخريب مزاراتهم.

ويعلق الاستاذ عباس العزاوي على ذلك بقوله" :ان الداعي لهذه الاعمال من تعمير مراقد الائمة وتخريب مشاهد الاخرين لا يقصد به الا تفريق الامة العراقية واضعاف مقاومتها، ولم يكن غرضه الحرمة الدينية والخير للامة"، ثم غادر الشاه بغداد وبعد ان ضم البصرة الى ممتلكاته، سلك طريق تستر والحويزة حيث قضى على الامارة المشعشعية هناك ومد سيطرته على الاحواز كلها.

الصراع مع العثمانيين :

ينتمي العثمانيون الاوائل الى احد عشائر قبيلة الغز التركية، تعرف بأسم قابي، هاجرت من المشرق الى الاناضول في القرن الثالث عشر للميلاد، تحت ضغط تحرك المغول في اواسط اسيا، وتمكن عثمان(الذي ولد على حسب الروايات التاريخية سنة ١٢٥٨ م اي سنة احتلال المغول بغداد)من تأسيس امارة قوية استظلت بدولة السلاجقة الروم اول الامر، وتوسعت على حساب الدولة البيزنطية وبسقوط دولة السلاجقة على يد المغول الايلخانين تمكنت الامارة من استقطاب عدد من الامارات التركية المسلمة في الاناضول، وهي الامارات الناشئة على انقاض دولة السلاجقة، واستأنفت توسعها غرباً ليتحول منذ سنة ١٣٤٥ م الى أوربا الشرقية، حيث استولت على اجزاء كبيرة منها، ولم تنجح غزوات تيمور لنك سنة ١٤٠٠ م في القضاء على الدولة العثمانية رغم سيطرتها على قسمها الاسيوي كله، اذ سرعان ما استطاعت ان تعيد حكمها في هذا القسم، وان تتوج اعمالها العسكرية في عهد (محمد الفاتح)بفتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م وضم اجزاء اخرى من اوربا الشرقية، وما ان انتهى القرن الخامس عشر حتى كانت الدولة العثمانية تشمل الاناضول واليونان وشبه جزيرة البلقان جزائر بحر ايجة وجزيرة في جنوب ايطاليا، وفي عهد سليم بن بايزيد(سليم الاول ١٥٢٠ – ١٤١٢)م اتخذت الدولة اخطر قرارتها حين استدارت لأول مرة منذ تأسيسها الى الشرق العربي، وقدر للعراق ان يتحول الى ميدان لصراع دموي بين السلالات الحاكمة في ايران والعثمانيين استمر بشكل متقطع حتى القرن التاسع عشر، ذلك ان تقدم الصفويين نحو الغرب من ايران شكل بالنسبة الى السلطان العثماني خطراً لا يمكن تجاهله، كما ان اطماع الشاه اسماعيل التي لا تعرف الحدود دفعته للعمل على مد

سلطانه الى الاناضول وبلاد الشام من جهة، والى الوقوف موقفاً متخاذلاً من التهديد البرتغالي المتسم بروح صليبية عارمة ضد العالم الاسلامي من جهة اخرى، وفي الوقت الذي كان فيه العثمانيون يركزون نشاطهم في شرقي اوربا والبلقان، ويبذل المماليك في السنوات الاخيرة من عمر دولتهم محاولات مستميتة من اجل التصدي للخطر البرتغالي في البحر الاحمر والمحيط الهندي، كان الشاه اسماعيل يسعى الى استغلال الاوضاع القائمة لتحقيق اطماعه متجاهلاً المصالح الاسلامية، فرسم سياسته التوسعية على اساس التحالف مع البرتغاليين في الخليج العربي، والتنسيق مع القوى المعادية للدولة العثمانية ودولة المماليك في مصر والشام، وبعث بوفوده الى اوربا مفاوضاً ملوكها للتحالف ضد سلطان مصر واقتسام املاكه، على ان تكون مصر وفلسطين من نصيبهم، بينما يستحوذ هو على بقية بلاد الشام، وبذلك يطل على البحر المتوسط، وقد تزامنت مشاريع الشاه هذه مع سعيه الى انتزاع الاناضول وانهاء الدولة العثمانية، ادرك السلطان سليم الاول خطر الصفويين فتحرك لاجتثاث ذلك الخطر، وبعد ان قضى على انصار الصفويين في الاناضول تحرك على رأس جيش جرار صوب الشرق في ربيع ١٥١٤ م باتجاه تبريز عاصمة الصفويين ودحر في جالديران ٩٢٠ هـ / ١٥١٤م الجيش الصفوي الذي يقوده الشاه اسماعيل في واحدة من اشد المعارك ضراوة، وانتهت بتحطيم الجيش الصفوي وفرار الشاه جريحاً من ميدان المعركة، وتقدم سليم فدخل تبريز في ٤ ايلول، وبعد ان امضى في المدينة ثمانية ايام غادرها عائداً الى بلاده، وقد تضافرت عوامل عدة حالت دون تمكن السلطان من مواصلة تعقب اسماعيل والقضاء على الدولة الصفوية، منها :قلة المؤن وامتداد خطوط المواصلات ووعورة المسالك وتقاعس الفرق الانكشارية(وهي عماد الجيش العثماني)عن التقدم.

اسفر الانتصار العثماني في جالدي ا رن عن نتائج مهمة، فمع انه لم ينه الدولة الصفوية الا انه اصابها بضربة قاسية وجعلها تقبع في ايران، كما سعى الشاه الى تأكيد تحالفه مع أوربا من اجل اضعاف العثمانيين فارسل وفوداً الى صربيا وهنغاريا ودول اوربية اخرى لهذا الغرض، وفيما يخص العراق، فأن العثمانيين مدوا سلطانهم على اجزائه الشمالية، ومنها الجزيرة والموصل وسنجار وتلعفر والعمادية واربيل وكركوك وهيت وحديثة وعانه.

وقد زعزع انتصار العثمانيين النفوذ الايراني في المنطقة وهز كيان الموالين لهم ومهد السبيل لطردهم من بقية اجزاء العراق، ولم يترك احتلال الصفويين للعراق اثراً مهماً في تاريخ العراق سياسياً او اقتصادياً، حيث لم يتغير ما كان سائداً فيه في الحقب السابقة سوى تبديل اشخاص الحكام باخرين، وظل نظام الاراضي كما كان عليه في الماضي، ولم يحدث ما يشير الى اهتمام بإصلاح طرق الري.

حركة ذي الفقار الاستقلالية ٩٣٦ – ٩٣٤هـ/ ١٥٢٩ – ١٥٢٧ م استغل احد الزعماء الاكراد من قبيلة موصلو وهو(ذو الفقار بين علي بك) ضعف النفوذ الصفوي في الع ا رق الاوسط والجنوبي فقام في صيف ١٥٢٧ م بحركة بارعة اغتال فيها(ابراهيم خان)والي العراق الصفوي في اثناء توجهه للقاء الشاه (طهماسب)وانضمت القوة التي كان يقودها ابراهيم خان على الاثر الى اتباع ذو الفقار وتوجه هو على رأس تلك القوة الى بغداد فدخلها وحاصر القلعة ثم استولى عليها واعلن استقلاله عن الدولة الصفوية، وقد تقرب من الاهلين(بإشاعة العدل فالتف حوله الناس.

ادرك ذو الفقار منذ بداية حركته ان امكاناته لا تقارن ازاء سيطرة الصفويين، ولهذا بادر الى الاستعانة بالدولة العثمانية فاظهر ولاءه لها وامر بذكر اسم السلطان(سليمان القانوني ٩٧٤ – ٩٢٦ هـ / ١٥٦٦ – ١٥٢٠م) في الخطبة ونقش اسمه على النقود، وبعث اليه بسفارة للإعراب عن ولائه له، لذلك جهز الشاه طهماسب الذي تولى العرش في ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤ م جيشاً كبيراً تقدم به الى بغداد وفرض حصاراً عليها، وفشلت هجمات الجيش الصفوي كافة امام صلابة المقاومة التي قادها ذو الفقار غير ان اخوين من اقرباء ذو الفقار قاما باغتيال الثائر غدراً فانهار المقاومة وعادت سيطرة الصفويين الى العراق مرة اخرى، وكافأ الشاه المتآمرين فمنح احدهم منصب الامارة ولقبه سلطان علي ذو الفقار كش(اي قاتل ذو الفقار)وعين الاخر واليا على المدينة كما عين عدداً اخر من الشخصيات الفارسية حكاماً على عدد من مدن العراق وامر بتعزيز دفاعات بغداد ثم عاد الى قزوين، وفي الوقت الذي سقطت فيه بغداد بيد الصفويين تعرضت البصرة الى الحملة البرتغالية الاولى بقيادة (مونا دي كونها) بذريعة مساعدة حاكم البصرة ضد شيخ الجزائر، وقد لفت هذان الحدثان:

عودة الاحتلال الايراني الى العراق والتعديد البرتغالي لرأس الخليج العربي، نظر السلطان سليمان القانوني الى خطورة الحالة التي تهدد ظهر الدولة العثمانية نظراً لسلسلة المحالفات السياسية والعسكرية بين الصفويين والقوى الاوربية، في وقت كانت فيه الدولة منصرفة الى قتال الامبراطورية

الرومانية المقدسة في شرق أوربا والبحر المتوسط وشمال افريقيا، ولهذا بدأ السلطان يفكر جدياً في مد سلطانه على العراق، واخذ الاستعداد لإرسال حملة كبيرة الى ايران قدر لها الاستيلاء على بغداد وبقية العراق في نهاية ٩٤١ هـ/ ١٥٣٤ م.